

مقارعة الحجة بالحجة، ولم يكن عندهم الاحجة التقليد لآبائهم، كما قال تعالى في الاية -22- من سورة الزخرف: ((بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون)) وهى أوهى من حجة العقل التي كان يقرعون بها، ولهذا ذمهم لعدم استعمالهم عقولهم، كما قال تعالى في الاية - 170 - من سورة البقرة:

((و اذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل انا قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون.))

ولما عجزوا عن مقارعة الحجة بالحجة رموا النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرة بالسحر، ومرة بالكذب، ومرة بالجنون، ومرة بالكهانة، وكل هذا من شأن العاجز المعاند، بل كانوا لمزيد عنادهم يقولون ما حكاه القرآن عنهم في الاية -32- من سورة الانفال: ((اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب إليم)).

ثم انتهى أمرهم بالقتال، فشرعوا السيف في وجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقامت الحرب بين الفريقين، ولكنهم لم يحاربوا الا بعد أن شعروا بضعف باطلهم فاستمر شعورهم بهذا الضعف بعد حربهم، ومن يكون هذا شأنه لا تطمئن نفسه في القتال، بل يكون دائماً في خوف ورعب، لشعوره بضعف ما يحارب في سبيله، فيخاف سوء العاقبة في دنياه وأخراه، ويتملكه من الرعب والخوف من ذلك ما يتملكه.

ولم يكن هذا الشعور بالضعف خاصاً بالمشركين وحدهم، بل كان يشاركهم في التهيب من شأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أهل الكتاب من اليهود و النصارى، كما يتبين من قصة وفد نجران، فقد وفدوا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة، فأورد عليهم الادلة، وأقام عليهم الحجج، ولكنهم أصروا على دينهم، فقال لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ان انا أمرنى ان لم تقبلوا الحجة أن أباهلكم. ثم خرج صلى الله عليه وآله وسلم الى مبالهتهم، وعليه مرط من شعر أسود، وقد احتضن الحسين، وأخذ بيد الحسن، وفاطمة تمشى خلفه، وعلى رضى انا عنه خلفها. قم قال لهم: اذا دعوت فأمّسّنوا. فلما رأهم أسقف نجران